# تفسير قصار السور: رب العالمين

# يوم الثلاثاء 05/09/1441هـ لفضيلة الشيخ الدكتور : عبدالعزيز بن أحمد البداح

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد:

فهذا هو الدرس الرابع من شرح قصار السور في يوم الثلاثاء الخامس من رمضان لعام ألفٍ وأربع مئة وواحدٍ وأربعين من الهجرة النبوية، وكنا توقفنا في الدرس السابق عند قوله عز وجل ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾. واليوم نتكلم عن قوله سبحانه ﴿رَبِّ العالمين﴾ .

يقول الرب سبحانه ﴿رَبِّ العالمين﴾[الفاتحة:2] الرب في الأصل التربية وهو إنشاء الشيء حالًا فحالًا إلى حد التمام، وهذا هو الأصل اللغوي على ما ذكره الراغب الأصفهاني في مفردات القرآن، ولكلمة الرب إطلاقات فيطلق على المالك والسيد والمنعم والمتصرف .

ولا يستعمل الرب بالتعريف لغير الله، ولا يطلق بإطلاق إلا على الله تعالى .

﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[الفاتحة:2] اللام في العالمين للاستغراق، فيدخل فيها كل ما سوى الله تعالى.

ولهذا جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما كما رواه ابن جرير الطبري في تفسيره أن "رب العالمين" أي الذي له الخلق كله أي السماوات والأرضون ومن فيهن وما بينهن مما يعلم ومما لا يعلم .

وأكثر السلف والمفسرين على ترجيح ذلك ، وأن العالمين هو كل ما سوى الله عز وجل ، ويدل عليه قوله عز وجل في سورة الشعراء ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ \* قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إنْ كُنتُمْ مُوقِنِينَ﴾[الشعراء:24-23].

وقيل: أن المراد بالعالمين: هم الجن والإنس ، واستدلوا على هذا بقوله تعالى ﴿لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾[الفرقان:1] ومحل الإنذار هم الإنس والجن.

وقيل: العالمين هم بنوا آدم ، لقوله تعالى: ﴿أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾[الشعراء:165]والمراد بهم في الآية بنو آدم .

والصحيح أن المراد بالعالمين : كل ما سوى الله تعالى، كعالم الجن، وعالم الإنس، وعالم النبات، وعالم البحار، وعالم الأنهار، وعالم الجبال، وعالم الطيور، إلى آخر ذلك.

جاء عن بعض السلف كأبي العالية وسعيد بن المسيب ووهب بن منبه وغيرهم ذكر عدد هذه العوالم لكن هذا لا يصح .

قال ابن كثير رحمه الله بعد إيراده هذه الآثار : هذا كلامٌ غريبٌ يحتاج مثله إلى دليل .

والعالم مشتقٌ من العلامة لأنه علامةٌ على موجده كما قال القائل:

وفي كل شيءٍ له آيةٌ ... تدل على أنه الواحد

فوا عجبًا كيف يُعصى الإله ... أم كيف يجحده الجاحد

هذه الآية الكريمة فيها جملةٌ من اللطائف:

اللطيفة الأولى : ﴿رب العالمين﴾[الفاتحة:2] بعد قوله ﴿الحمد لله﴾[الفاتحة:2] ، وفي هذا بيانٌ للعلاقة بين الألوهية والربوبية فإن الربوبية دليلٌ على الألوهية، فإن خلق الله تعالى وتصريفه وتدبيره وتسخيره يدل على أنه هو المستحق للعبادة وحده لا شريك له.

ولهذا قال العلماء أن الربوبية تستلزم الألوهية فمن عرف أن الله تعالى هو الخالق وهو الرازق وهو المدبر وهو المصرف وهو المحيي وهو المميت فإنه يلزم من ذلك أن يعبده وحده لا شريك له .

اللطيفة الثانية :﴿ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[الفاتحة:2] هذا إبطالٌ لتعدد الأرباب، فإنه لما نزل القرآن كان الناس على مذاهب شتى فكانت الآلهة كثيرة والأساطير متعددة والخرافات متنوعة، فجاءت هذه الآية لتقطع دابر تعدد الآلهة.

ووكّد الله ذلك في آيات أخرى، فقال سبحانه :﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾[يوسف:39] .

وقال تعالى:﴿وَلا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾[آل عمران:80]

**اللطيفة الثالثة**: قيل أن "الرب" هو اسم الله الأعظم، وذلك لكثرة دعوة الداعين به من أنبياء الله ورسله،

قال عز وجل عن الأبوين: ﴿قَالا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[الأعراف:23].

وقال تعالى عن نوح عليه السلام: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ...﴾[نوح:28].

وقال الله عز وجل عن إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾[إبراهيم:41].

وقال تعالى عن موسى عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾[القصص:16] .

وقال سبحانه وتعالى عن زكريا :﴿َالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾[آل عمران:38]

فإذا تأمل العبد أدعية الأنبياء والرسل في القرآن وجدهم يصدرونها باسم الله تعالى "الرب" .

ولذلك يحسن بالداعي إذا دعا الله تعالى أن يسأله بذلك .

وسر هذا أن اسم الله تعالى "الرب" متضمن لمعاني: المربي والخالق والرازق والناصر والهادي ،ولذا فهو الاسم الأنسب للاستعانة والمسألة.

**اللطيفة الرابعة** : قوله:﴿ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ إشارة إلى أن ربوبية الله مركوزةٌ في الفطر ، قائمةٌ في النفوس، وأشار الله سبحانه إلى هذا في قوله ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا ﴾[الأعراف:172].

إذن فاعتقاد ربوبية الله عز وجل بأنه الخالق الرازق المدبر المحيي المميت هذه عقيدة راسخة في النفوس، مركوزةٌ في الفطر، وفي هذا ردٌ على ما يُروج له من أن الإلحاد ظاهرٌ ومنتشرٌ وفاشٍ في البشرية .

إن الأصل هو الإقرار لله تعالى بالربوبية، وهذا الإلحاد أو الشك إنما هو طارئ، وغاية أكثر صور الإلحاد إنما هي شكٌ وإعراضٌ عن الدين، وإلا فإنه لا يستطيع أحدٌ أن يناقض الفطرة، وينازع الخلقة التي فطر الله عز وجل الناس عليها وأوجدهم على صورتها ، ولو فعل ذلك فإنه يعيش اضطرابًا نفسيًّا وقلقًا داخليًا مع إقراره في نفسه بالخالق، قال تعالى ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾[النمل:14] .

وقال تعالى في فرعون ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَؤُلاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾[الإسراء:102] وعلى هذا فأدلة وجود الرب جل جلاله أدلة ظاهرة وجلية ومشاهدة ومحسوسة ومعقولة ولا ينكرها إلا مكابر، والذين يشككون في ربوبية الله تعالى إنما ينكرون المعقول والمحسوس والمشاهد والظاهر والبدهي والبيّن، قال الله عز وجل في سورة إبراهيم ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾[إبراهيم:10].

جاء عند ابن حبان: ((**دخل بلال على النبي صلى الله عليه وسلم ليؤذنه لصلاة الفجر فوجده يبكي فقال له يا رسول الله أتبكي وقد غُفر لك ما قدم من ذنبك وما تأخر فقال رسول الله أفلا أكون عبدًا شكورًا ثم قال عليَّ أنزلت الليلة آياتٌ ويلٌ لمن قرأها ولم يتفكر فيها ثم قرأ قوله تعالى** ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الأَلْبَابِ﴾[آل عمران:190] **))**

فالذين يشكون في الربوبية أو يُشككون فيها إنما يُشككون في الآية والجلي والظاهر والبين والمحسوس والمشاهد والمعقول .

كان الشاعر أبو نواس مسرفًا على نفسه بالمعاصي فروئي بعد موته في هيئةٍ حسنةٍ وبلباسٍ أبيض، فقيل له: ما صنع الله بك؟ فقال غفر لي. قيل بمَ؟ قال: بما قلته :

تأمل في نبات الأرض وانظر ... إلى آثار ما صنع المليكُ

عيونٌ من لجينٍ شاخصاتٌ... بأحداقٍ هي الذهب السبيك

على قُضَبِ الزبرجد شاهداتٌ ... بأن الله ليس له شريك

ومصداق هذا أنه لم ينازع أحدٌ في الربوبية إلا حالاتٍ شاذة كما حكى الله تعالى عن فرعون ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي ...﴾[القصص:38] .

وقال في آية أخرى ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى﴾[النازعات:24]

وعلى أن الشيطان قد أخذ بالناس في الضلال والانحراف كل مأخذ إلا أنه لم يقو أحدٌ من البشر أن ينازع الله في الربوبية فيدعي أنه الرب، لماذا؟ لأن ذلك المدعي لن يجد دليلًا على زعمه ودعواه لأن هذه الدعوى معناها أنه الخالق والرازق والمدبر وأنّى لأحدٍ أن يدعي ذلك،

**اللطيفة الخامسة** : قوله:﴿ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[الفاتحة:2]إشارة إلى الخضوع التام والانقياد المطلق من المخلوقات كلها لله عز وجل .

وأشار الله سبحانه وتعالى إلى ذلك في آيات أخرى ،فقال سبحانه في سورة الرعد ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ﴾[الرعد:15] .

وقال سبحانه في سورة النحل ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلائِكَةُ وَهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ﴾[النحل:49].

وقال سبحانه:﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾[الحج:18]، فالمخلوقات كلها خاضعةٌ لله تعالى منقادةٌ لأمره لا تخرج عن تدبيره ، ولا تصدر إلا عن تقديره .

ومعنى السجود في هذه الآيات: الخضوع والتذلل والانقياد لأمر الله عز وجل .

وقيل أن سجود الجمادات يعني ظهور أثر الصانع فيها فهي تدعوا العقلاء إلى السجود لله تعالى .

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد.